أبحاث

تحرير القول في المراد بالذرية في قول الله تعالى: (وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ)

د. سعيد بن محمد بن سعد الشهراني (*)



المقدمة:

الحمد لله الذي أنــزل الكتاب على عبده ولم يجعل له عوجا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: (**هُوَ الَّذِي أَنــزلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**) وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين؛ أما بعد: فقد منَّ الله على هذه الأمة بإنــزال كتابه الكريم ليكون للعالمين نذيرًا، فهدى الله به البشرية؛ وخرجت بفضل الله من الظلمات إلى النور، فلا غرو أن يقبلوا على كتاب هذا شأنه فيتلوه ويحفظوه ويتدبروه، وحيث إن الله تحدى به العرب فأعجزهم؛ فقد حارت أفهام بعض من ألفوا في تفسيره قديمًا وحديثًا، فصرحوا في تفاسيرهم بوجود مشكل في فهمهم لبعض آياته، فمنهم من توقف ومنهم من اجتهد ولكل أجره عند ربه جل وعلا.

وحين كنت أطالع تفسير ابن سعدي - رحمه الله- رأيته يقف عند قول المولى جل

(*) الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه - كلية الشريعة وأصول الدين - جامعة الملك خالد.

وعلا: ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾، فيقول: **وهذاالموضع من أشكل المواضع علي في التفسير**، فأنقدح في ذهني أن أجمع كلام المفسرين في هذه الآية وأبذل الجهد في حل مُشكلها، وسألت الله أن يفتح عليّ وأن يقوي ضعفي، فكان هذا البحث الذي بين يديك – رعاك الله وسددك- بعنوان: **تحرير القول في المراد بالذرية في قول الله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾**، وقد جعلت هذا البحث القرآني في مقدمة، وثلاثة مباحث.

أما مقدمة البحث: فذكرت فيها أهمية الموضوع، والحاجة إليه.

وأما المبحث الأول: فذكرت فيه معنى الذرية في اللغة ومرادفاها.

وفي المبحث الثاني: فاستعمالات الذرية في القرآن.

وفي المبحث الثالث: فتحرير القول في المراد بالذرية في قول الله تعالى:﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾.

ثم الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات، وبعدها فهارس البحث.

* * *

المبحث الأول
تعريف الذرية في اللغة ومرادفاتها

اختلف أهل اللغة في الأصل في الذرية على ثلاثة أقوال:

الأول: أن أصلها من ذرأ يذرأ:

قال الجوهري: ذرأ الله الخلق يذرؤُهُمْ ذرْءاً: خَلَقَهُمْ. ومنه: الذُرِّيَّةُ: وهي نَسْلُ الثَّقَلَيْنِ، إلا أنَّ العرب تركت همزها، والجمع: الذَّرارِيّ. وفي الحديث: "ذَرْءَ النَّارِ"، أي: أنهم خُلِقوا لها.

وحكى بعضهم ذَرَأْتُ الأرض أي بَذَرْتُها[1]، وذَرَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ يَذْرَؤُهُمْ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾[2] [3].

قال العيني: وأما الذرية فأصلها من ذرأ الله الخلق يذرؤهم ذرءا: خلقهم[4].

الثاني: أن أصلها فعلية من الذَّرِّ.

قال البغوي: الذُّرِّيَّةُ جَمْعُهَا ذَرَارِيُّ مِنَ الذَّرِّ؛ لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَخْرَجَ الْخَلْقَ مِنْ صُلْبِ آدَمَ كَالذَّرِّ حَتَّى أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ[5].

ومنه أثر ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: "خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ، فَأَخَذَ مِيثَاقَهُ أَنَّهُ رَبُّهُ، وَكَتَبَ أَجَلَهُ وَرِزْقَهُ وَمَصَائِبَهُ، وَأَخْرَجَ وَلَدَهُ مِنْ ظَهْرِهِ كَهَيْئَةِ الذَّرِّ، فَأَخَذَ مَوَاثِيقَهُمْ أَنَّهُ

---

(١) الصحاح، مادة (ذرأ) (١/ ٥١).

(٢) سورة الشورى: (آية: ١١).

(٣) معجم مقاييس اللغة مادة: (ذَرَأَ) (٢/ ٣٥٢).

(٤) انظر: المحكم والمحيط مادة: (ذَرَأَ) (٩٣/١٠)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٥/ ٢٠٤)، الكليات (٤٦٢/١).

(٥) شرح السنة (١/ ١٤٠).

رَبُّهُمْ، وَكَتَبَ آجَالَهُمْ وَأَرْزَاقَهُمْ وَمَصَائِبَهُمْ"[١].

قال ابن القيم: إن أَصْلَهَا من الذَّر وَهُوَ النَّمْل الصغار، فتكون على وزن فعلية، وَكَانَ قِيَاس هَذِه النِّسْبَة ذَرِّيَّة بِفَتْح الذَّال وبالياء، لكنهمْ ضمُّوا أوله وهمزوا آخِره، وَهَذَا من بَاب تَغْيِير النّسَب[٢].

الثالث: أن أصلها من ذرا يذرو:

قال الجوهري: وفي الحديث: "ذَرْءَ النَّارِ".. ومن قال: ذَرْوَ النَّارِ بغير همز: أراد أنهم يُذْرَوْنَ في النار[٣]، وأنَّهَا من ذرا يذرو إِذا فرق من قَوْله تَعَالَى: **(تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ)**[٤]، وأَصلهَا على هَذَا ذريوه فعلية من الذرو، ثمَّ قلبت الْوَاو يَاء لسبق إِحْدَاهمَا بِالسُّكُونِ[٥].

قال ابن القيم: وَالْقَوْل الأول أصح لأن الاشْتِقَاق وَالْمعْنَى يَشْهَدَان لَهُ فَإِن أصل هَذِه الْمَادَّة من الذرء، قَالَ الله تَعَالَى: **(جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يذرؤكم فِيهِ)**[٦].

وَفِي الحَدِيث: «أعوذ بِكَلِمَات الله التامات الَّتِي لا يجاوزهن بر وَلَا فَاجر من شَرّ مَا خلق وذرأ وبرأ»[٧]، وقال تعالى: **(وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ)**[٨][٩].

(١) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (١٤٤)

(٢) **قال ابن القيم:** وَهَذَا القَوْل ضَعِيف من وُجُوه: مِنْهَا مُخَالفَة بَاب النّسَب، وَمِنْهَا إِبْدَال الرَّاء يَاء وَهُوَ غير مقيس، وَمِنْهَا أَن لَا اشْتِرَاك بَين الذُّرِّيَّة والذر إِلَّا فِي الذَّال وَالرَّاء، وَأما فِي الْمَعْنى فَلَيْسَ مَفْهُوم أحدهمَا مَفْهُوم الآخر، وَمِنْهَا أَن الذَّر من المضاعف والذرية من المعتل أَو المهموز فأحدهما غير الآخر.انظر جلاء الأفهام (٢٦٠).

(٣) الصحاح، مادة (ذرأ) (١/ ٥١).

(٤) سورة الكهف (٤٥).

(٥) جلاء الأفهام (٢٦٠).

(٦) سورة الشورى (١١).

(٧) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٠٢/٢٤).

(٨) سورة الأعراف (١٧٩).

(٩) جلاء الأفهام (٢٦١).

قال الراغب: الذرية أصلها: نسل الرجل[1].

وقال الزبيدي: الذُّرِّيَّة: اسمٌ يَجمع نَسْلَ الإِنْسَانِ من ذَكَرٍ وأُنْثَى[2].

وفي الذرية ثَلاثُ لُغَات: **أَفْصَحُهَا**: ضَمُّ الذَّالِ، **وَالثَّانِيَةُ**: كَسْرُهَا، **وَالثَّالِثَةُ**: فَتْحُ الذَّالِ مَعَ تَخْفِيفِ الرَّاءِ وِزَانُ كَرِيمَةٍ[3].

مرادفات الذرية:

ذكر العلماء في معرض حديثهم عن الذرية مرادفات لها كالعقب والنسل والأبناء[4]، وهذا فيما أحسبه من باب التجوز- والله أعلم- جريا على عادة العرب، وذلك أن هذه الألفاظ لا تكون مرادفة للذرية من كل وجه، بل يكون بينها وبين لفظة الذرية ترادف من وجه واختلاف من وجوه.

قال الأزهري: النسل والعقب فِي مَعْنَاهُ. (أي في معنى الذرية)[5].

وقال الشنقيطي: قال الله عن إبراهيم: (**وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ**)، وقال عنه: (**رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي**)، وفي بعضها: (**رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ**... الآية)، وفي بعضها قال: (**وَمِن ذُرِّيَّتِي**)، وفي بعضها: (**وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ**)، فالظاهر المتبادر من الآيات أن المراد بالبنين والذرية والعقب شيء واحد؛ لأن جميعها في شيء واحد[6].

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن (٣٢٧).

(٢) تاج العروس (١١ / ٣٦٨)، وانظر: مختار الصحاح (١/١١٢)، المطلع على ألفاظ المقنع (٣٤٧) معجم لغة الفقهاء (١/٢١٤)، مدارك التنـــزيل وحقائق التأويل (١/ ١٢٨).

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١ / ٢٠٧)

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٦/٧٧)، روضة الطالبين (٥/٣٣٧)، أسنى المطالب (٢/٤٦٧).

(٥) تهذيب اللغة (٢/٣٦٤).

(٦) أضواء البيان (٧/١٠٥)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن(١٦/٧٨).

وحين نتأمل في تلكم الألفاظ ونتتبع أقوال أهل اللغة، نلحظ أن هناك فروقا بين الذرية وبين العقب والنسل والأبناء، وإليك شيئاً منها:

فأما العقب:

قال ابن سيده: والعَقِب: الْوَلَد يبْقى بعد الإنسان وَهُوَ العَقْب، وَالْجمع أعْقاب[١].**وقال القرطبي:** وعقب الرجل: ولده وولد ولده الباقون بعده [٢].

وقد اختُلف هل يدخل أولاد البنات في العقب أم لا؟.

فذهب أبو حنيفة ومالك إلى عدم دخول أولاد البنات في العقب.

قال مالك: إنّ العقب الولدُ ذكرًا كان أو أُنثى وليس ولد البنات عقبًا ذكرًا كان أو أُنثى، وقال عبد الملك ابن الماجشون ويجمع ذلك أنّ كل ذكر، أو أُنثى أدلت به أُنثى فليس بعقب[٣].

وقال ابن عابدين: قوله (والعقب للولد وولده من الذكور) أي: أبدا ما تناسلوا فكل من يرجع بنسبه إلى الواقف بالآباء فهو من عقبه، وكل من كان أبوه من غير الذكور من ولد الواقف فليس من عقبه[٤].

وذهب الشافعية إلى دخول أولاد البنات في العقب.

قال الخطيب الشربيني: ويدخل أولَاد البنات في الوقف على الذُّرية وعلى النسل وعلى العقب وعلى أَولاد الأَولاد لصدق اللّفظ بهم. أما في الذُّرية فلقوله تعالى: **(وَمن ذُرِيَّته دَاوُد وَسليمَان)** إِلَى أَن ذكر عِيسَى وَلَيس هو إِلَّا ولد الْبنت والنسل والعقب

---

(١) المخصص (٤/١٤٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٦/٧٧).

(٣) انظر المنتقى (دارالكتاب الإسلامي-القاهرة- الطبعةالثانية- د.ت) ج٦ ص١٢٥.

(٤) حاشية ابن عابدين (٤/٤٧٢).

في مَعْنَاه؛ إِلَّا إن قال على من ينْسب إِلَي منهم فلَا يدخل أَولَاد الْبَنَات فيمَا ذكر نظرا للقيد الْمَذْكُور(١).

وذهب العسكري إلى دخول أولاد البنات في العقب: فقال: الفرق بين العقب والولد: أن عقب الرجل ولده الذكور والإناث وولد بنيه من الذكور والإناث إلا أنهم لا يسمون عقبا إلا بعد وفاته فهم على كل حال ولده والفرق بين الاسمين بين(٢).

وأما النسل:

قال ابن فارس: النون والسين واللام أصلٌ صحيح يدلُّ على سَلِّ شيءٍ وانسلاله. والنَّسْل: الولَد. لأنَّه يُنْسل من والدته. وتناسَلُوا: ولد بعضُهم من بعض(٣).

وقال ابن سيده: النَّسْلُ الخَلْقُ والنَّسْلُ الوَلَدُ والجمع أنسالٌ(٤).

وقال ابن منظور: والنَّسْل: الْوَلَدُ والذرِّية(٥).

وقال في مجمع الأنهر: النَّسْلَ يَتَضَمَّنُ الْقَرِيبَ وَالْبَعِيدَ الْقَرِيبَ بِحَقِيقَتِهِ وَالْبَعِيدَ بِحُكْمِ الْعُرْفِ فَلَا يَدُلُّ عَلَى التَّرْتِيبِ(٦).

وهل يدخل أولاد البنات في النسل:

قال الخطيب الشربيني: (وَيَدْخُلُ أَوْلَادُ الْبَنَاتِ) قَرِيبُهُمْ وَبَعِيدُهُمْ (فِي الْوَقْفِ عَلَى الذُّرِّيَّةِ وَ) عَلَى (النَّسْلِ) (٧).

وقال القرطبي: اللفظ الخامس: نسلي؛ وهو عند علمائنا كقول: ولدي وولد ولدي؛ فإنه يدخل فيه ولد البنات. ويجب أن يدخلوا؛ لأن نسل به بمعنى خرج، وولد

(١) الإقناع في حل ألفاظ بني شجاع (٢/٣٦٤).
(٢) الفروق اللغوية (ص٣٦٥).
(٣) معجم مقاييس اللغة ط: دار الفكر (٥/٤٢٠).
(٤) المحكم والمحيط الأعظم (٨/٤٩٩).
(٥) لسان العرب (١١/٦٦٠)، وانظر المصباح المنير (٢/٦٠٤).
(٦) مجمع الأنهر (١/٧٣٧).
(٧) مغني المحتاج (٣/٥٤٣).

البنات قد خرجوا منه بوجه[١].

وجاء في الموسوعة الكويتية: لَوْ قَال الْوَاقِفُ: وَقَفْتُ عَلَى نَسْلِي فَعِنْدَ الْمَالِكِيَّة وَالْحَنَابِلَة - فِي الْمَذْهَب - وَفِي رِوَايَة عِنْدَ الْحَنَفِيَّة يَدْخُل فِي الْوَقْفِ أَوْلاَدُ الْوَاقِفِ ذُكُورُهُمْ وَإِنَاثُهُمْ وَأَوْلاَدُ الذُّكُورِ مِنْ وَلَدِهِ دُونَ أَوْلاَدِ الإِنَاث.

قَال الْحَنَابِلَةُ: فَلاَ يَدْخُل أَوْلاَدُ الْبَنَاتِ إِلاَّ بِقَرِينَة لأَنَّهُمْ لاَ يَنْتَسِبُونَ إِلَيْه.

وَقَال الْمَالِكِيَّةُ: وَهَذَا مَا لَمْ يَجْرِ عُرْفٌ بِدُخُول أَوْلاَدِ الْبَنَاتِ فِي ذَلِكَ لأَنَّ مَبْنَى أَلْفَاظ الْوَاقِفِ عَلَى الْعُرْفِ[٢].

وأما الأبناء:

فقد ذكر العسكري في الْفرق بَين الْأَبْنَاء والذرية: أَن الْأَبْنَاء يخْتَص بِهِ أولاد الرجل لا أَوْلَاد بَنَاته؛ لأن الْبَنَات منسوبون إِلَى آبائهم كَمَا قَالَ الشَّاعِر من الطَّوِيل:

(بنونا بَنو أَبْنَائنَا وبناتنا... بنوهن أَبنَاء الرِّجَال الأباعد)[٣].

وللذرية ثلاث مرادفات هي: العقب والنسل والأبناء[٤].

قال الأزهري: النسل والعقب في مَعْنَاهُ. (أي في معنى الذرية)[٥].

وقال الشنقيطي: قال الله عن إبراهيم: (**وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ**)، وقال عنه: (**رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي**)، وفي بعضها: (**رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ**... الآية)، وفي بعضها قال: (**وَمِن ذُرِّيَّتِي**)، وفي بعضها: (**وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ**)، فالظاهر المتبادر من الآيات أن المراد بالبنين والذرية والعقب شيء واحد؛ لأن جميعها في شيء واحد[٦].

* * *

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨٠/١٦).

(٢) الموسوعة الكويتية (١٥٨/٤٤).

(٣) الفروق اللغوية (ص٢٨٢).

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن (٧٧/١٦)، روضة الطالبين (٣٣٧/٥)، أسنى المطالب (٤٦٧/٢).

(٥) تهذيب اللغة (٣٦٤/٢).

(٦) أضواء البيان (١٠٥/٧)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن(٧٨/١٦).

المبحث الثاني
استعمالات الذرية في القرآن الكريم.

جاء ذكر كلمة (الذرية) في القرآن بتصاريفها المتعددة في ثلاثين موضعا، وهي:

الآية الأولى: قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة:١٢٤).

قال الثعالبي في قوله تعالى: **﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾**: ومن أولادي فاجعل أئمّة يقتدى بهم[(١)]، **وقال الرازي**: الأولادُ وأولاد الأولاد للرجل[(٢)]، **وقال القرطبي**: والمراد بالذرية هنا الأبناء خاصة[(٣)].

قال الواحدي: ومن أولادي أيضاً فاجعل أئمةً يُقتدى بهم[(٤)].

قلت: المراد بالذرية في الآية الأولاد والعَقب[(٥)].

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة:١٢٨).

اختلف المفسرون في المراد بالذرية في الآية على قولين:

الأول: أن إبراهيم وإسماعيل عنيا بذلك بعض الذرية، ممن كان طائعًا لربه ممتثلًا

---

(١) الكشف والبيان (١/٢٦٩).

(٢) مفاتيح الغيب (٤/٣٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢/١٠٧، ١٠٨).

(٤) الوجيز (١٣٠).

(٥) جامع البيان (٢/١٩)، وانظر: تفسير القرآن العظيم (١/٢٢٢)، بحر العلوم (١/٩١)، التفسير الوسيط (١/٢٠٣)، الوجيز (١/١٣٠)، تفسير الراغب الأصفهاني (١/٣٠٩)، معالم التنزيل (١/١٦٢)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/١٠٤)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/١٢٨)، لباب التأويل في معاني التنزيل (١/٧٧)، تفسير القرآن العظيم (١/٤١٠)، تفسير المنار (١/٣٧٥)، تيسير الكريم الرحمن (١/٦٥).

أمره من العرب وغيرهم[١].

قال الطبري: وقوله: (وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً) فإنهما خصا بذلك بعض الذرية، لأن الله تعالى ذكره قد كان أعلم إبراهيم خليله -ﷺ- قبل مسألته هذه، أن من ذريته من لا ينال عهده لظلمه وفجوره. فخصا بالدعوة بعض ذريتهما.

الثاني: أنهما عنيا بذلك العرب[٢].

قال السدي: "ومن ذريتنا أمة مسلمة لك" يعنيان العرب.

قال الطبري قول السدي فقال: وهذا قول يدل ظاهر الكتاب على خلافه؛ لأن ظاهره يدل على أنهما دعوا الله أن يجعل من ذريتهما أهل طاعته وولايته، والمستجيبين لأمره. وقد كان في ولد إبراهيم العرب وغير العرب، والمستجيب لأمر الله والخاضع له بالطاعة، من الفريقين. فلا وجه لقول من قال: عنى إبراهيم بدعائه ذلك فريقا من ولده بأعيانهم دون غيرهم، إلا التحكم الذي لا يعجز عنه أحد[٣].

وتعقبه ابن عطية فقال: وهو ضعيف، لأن دعوته ظهرت في العرب وفيمن آمن من غيرهم[٤].

الترجيح: لا تعارض بين القولين، فيمكن القول بأن المراد بالذرية في الآية هم العقب من الأبناء، ويكون تفسير السدي بالعرب تفسير بالمثال، داخل في عموم قول جمهور المفسرين.

---

(١) جامع البيان (٧٤/٣)، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢٣٤/١)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٤٤٣/١)، التفسير الوسيط(٢١١/١)، المحرر الوجيز (٢١١/١)، الجامع لأحكام القرآن (١٢٦/٢)، تفسير ابن عرفة (٤١٨/١)، تفسير الثعالبي (٣١٧/١)، الدر المنثور (٣٣١/١)، التحرير والتنوير (٧٢٠/١)، فتح القدير (١٦٥/١) وقد ذكر الشوكاني عن الطبري أنه عنى العرب، وأنت ترى أن الطبري رجح أن المعنى هو العرب وغيرهم، تفسير العثيمين الفاتحة والبقرة (٦٢/٢).

(٢) جامع البيان (٧٤/٣).

(٣) جامع البيان (٧٤/٣).

(٤) المحرر الوجيز (١/ ٢١١).

قال ابن كثير: وهذا الذي قاله ابن جرير لا ينفيه السدي؛ فإن تخصيصهم بذلك لا ينفي من عداهم، والسياق إنما هو في العرب؛ ولهذا قال بعده: (**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ**)، والمراد بذلك محمد -ﷺ-، وقد بعث فيهم كما قال تعالى: (**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ**)، ومع هذا لا ينفي رسالته إلى الأحمر والأسود، لقوله تعالى: (**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**) وغير ذلك من الأدلة القاطعة [(١)].

قال البغوي: ومن ذرِّيتنا، أي: أولادنا[(٢)].

قلت:المراد بالذرية في الآية: الأولاد والعَقب[(٣)].

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاء فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (البقرة:٢٦٦).

قال ابن عباس: ضرب الله له مثلا حسنًا، وكل أمثاله حَسَنٌ، قال: (**أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ**) يقول: صنعه في شبيبته (**وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ**) وولده وذريته ضعاف عند آخر

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/٤٤٢).

(٢) تفسير البغوي: إحياء التراث (١/١٦٧)، وانظر: لباب التأويل (١/٨١).

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١/٢٣٤)، الهداية إلى بلوغ النهاية (١/٤٤٣)، التفسير الوسيط للواحدي (١/٢١١)، المحرر الوجيز (١/٢١١)، الجامع لأحكام القرآن (٢/١٢٦)، تفسير ابن عرفة (١/٤١٨)، تفسير الثعالبي (١/٣١٧)، الدر المنثور (١/٣٣١)، التحرير والتنوير (١/٧٢٠)، فتح القدير (١/١٦٥) وقد ذكر الشوكاني عن الطبري أنه عنى العرب، وأنت ترى أن الطبري رجح أن المعنى هو العرب وغيرهم، تفسير العثيمين الفاتحة والبقرة (٢/٦٢).

عمره، فجاءه إعصار فيه نار فأحرق بستانه، فلم يكن عنده قوة أن يغرس مثله، ولم يكن عند نسله خير يعودون به عليه، وكذلك الكافر يوم القيامة، إذ رد إلى الله عز وجل، ليس له خير فيستعتب، كما ليس لهذا قوة فيغرس مثل بستانه، ولا يجده قدم لنفسه خيرا يعود عليه، كما لم يغن عن هذا ولده، وحرم أجره عند أفقر ما كان إليه، كما حرم هذا جنة الله عند أفقر ما كان إليها عند كبره وضعف ذريته(١).

قال الطبري: يعني أنّ صاحب الجنة أصابه الكبر وله ذرية ضعفاء: صغارٌ أطفال(٢).

قلت: المراد بالذرية في الآية: الأولاد الصغار، لا أعلم فيه خلافًا(٣).

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران:٣٤).

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: **(ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ)** بَعْضهَا على دين بعض وَولد بَعْضهَا من بعض(٤).

قال ابن القيم: أن الذرية تقال على الأولاد الصغار والكبار أيضا، ومنه قوله تعالى: **(ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ)**(٥).

قلت: المراد بالذرية في الآية الأبناء(٦).

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٥٢٣).

(٢) جامع البيان (٥/٥٤٣)، وانظر: تفسير ابن عرفة (٢/٧٥٠).

(٣) انظر: جامع البيان (٥/٥٤٣)، التفسير الوسيط (١/٣٨٠)، تفسير القرآن (١/٢٧١)، تفسير البغوي (١/٣٦٤)، أنوار التنـزيل وأسرار التأويل (١/١٥٩)، مدارك التنـزيل (١/٢١٩)، لباب التأويل (١/٢٠١)، البحر المحيط (٢/٦٧٣)، التفسير القيم (١/١٥٣)، تفسير الجلالين (١/٥٩)، فتح القدير (١/٣٣٠)، محاسن التأويل (٢/٢٠٦)، تفسير المراغي (٣/٣٧)، تيسير الكريم الرحمن (١/٩٥٧)، التحرير والتنوير (٣/١٠٤)، تفسير العثيمين الفاتحة والبقرة (٣/٣٣١)

(٤) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (١/٤٦).

(٥) جلاء الأفهام (٢٦٠).

(٦) انظر: الدر المنثور (٢/١٨٠)، روح البيان (٢/٢٥)، فتح القدير (١/٣٨٣)، تفسير المنار (٣/٢٣٧)، تيسير الكريم الرحمن (١/١٢٨).

الآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (آل عمران:٣٦).

قال مقاتل: (وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا) يعني: عيسى-عليه السلام-[(١)].

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: سمعت النبي-صلى الله عليه وسلم- يقول: ما من بني آدم مولودٌ يولد إلا قد مسَّه الشيطان حين يولد، فيستهلّ صارخًا بمسِّه إياه، غير مريم وابنها. قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: **(وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)** [(٢)].

قلت: المقصود بالذرية في الآية عيسى -عليه السلام-، لا أعلم فيه خلافًا[(٣)].

الآية السادسة: قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (آل عمران:٣٨).

قال السدي: لما رأى زكريا من حالها -أي مريم- فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف- قال: إنّ ربًّا أعطاها هذا في غير حينه، لقادرٌ على أن يرزقني ذرية طيبة. ورغب في الولد، فقام فصلّى، ثم دعا ربه سرًّا فقال: **(فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا)**، وقوله: **(رَبِ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ)، وقال: (رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ)** [(٤)].

وقال الشنقيطي: (فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا) يعني بهذا الولي: الولد خاصة دون

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٢٧٢).

(٢) صحيح. رواه البخاري في (التفسير، ح/ ٤٥٤٨).

(٣) انظر: جامع البيان (٣٤١/٥)، تفسير مقاتل (٢٧٢/١)، تفسير عبد الرزاق (٣٨٧/١)، تفسير ابن أبي حاتم (٢٠٥/١١)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٩٩٦/٢)، تفسير ابن المنذر (١٧٧/١)، الكشف والبيان (٥٥/٣)، التفسير الوسيط للواحدي (٤٣١/١)، تفسير البغوي (٤٣٢/١)، المحرر الوجيز (٤٢٥/١)، الجامع لأحكام القرآن (٦٨/٤)، تفسير القرآن العظيم (٣٤/٢).

(٤) جامع البيان (٦/ ٣٦٠).

غيره من الأولياء، بدليل قوله تعالى في القصة نفسها: (هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً)، وأشار إلى أنه الولد أيضا بقوله: (زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ)، فقوله:(لا تَذَرْنِي فَرْدًا) أي: واحدا بلا ولد(١).

قلت: المراد بالذرية في الآية: الولد، لا أعلم في ذلك خلافًا بين أهل التفسير(٢).

الآية السابعة: قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً﴾ (النساء:٩).

قال مجاهد: وليخش أولئك وليقولوا كما يحبون أن يقال لهم في أولادهم بعد، وليقولوا قولا عدلا(٣). ولما دخل النبي -ﷺ- على سعد بن أبي وقاص يعوده قال: يا رسول الله، إني ذو مال ولا يرثني إلا ابنة، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: "لا". قال: فالشطر؟ قال: "لا". قال: فالثلث؟ قال: "الثلث، والثلث كثير". ثم قال رسول الله -ﷺ-: "إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس" (٤).

قلت: المراد بالذرية في الآية: العقب والنسل؛ وخاصة الصغار والضعفاء منهم(٥).

---

(١) أضواء البيان (٣/ ٣٦٥)

(٢) انظر: جامع البيان (٣٦١/٦)، الكشف والبيان (٥٩/٣)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٩٩٢/٢)، النكت والعيون (٣٨٩/١)، التفسير الوسيط (٢٠٣/١)، تفسير البغوي (٤٣٥/١)، المحرر الوجيز (٤٢٧/١)، زاد المسير (٢٧٨/١)، الكشاف (٣٥٩/١)، تفسير مفاتيح الغيب (٢٠٩/٨)، تفسير العز (٢٦٠/١)، الجامع لأحكام القرآن (٧٢/٤)، البحر المحيط (١٢٦/٣)، تفسير القرآن العظيم (٣٩/٢)، اللباب في علوم الكتاب (١٨٩/٥)، تفسير النيسابوري (١٥٧/٢)، التحرير والتنوير (٢٣٨/٣).

(٣) تفسير مجاهد (٢٦٨).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث (٢/٤).

(٥) انظر: جامع البيان (٢٠/٧)، تفسير مقاتل (٣٥٩/١)، تفسير سفيان الثوري (٩٠/١)، تفسير عبد الرزاق (٤٣٩/١)، تفسير ابن المنذر (٥٨٤/٢)، تفسير ابن أبي حاتم محققًا (٨٧٧/٣)، بحر العلوم (٢٨٣/١)، الكشف والبيان (٢٦٠/٣)، الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢٣٤/٢)، النكت والعيون (٤٥٧/١)، تفسير البغوي (٥٧٣/١)، زاد المسير (٣٧٦/١)، الجامع لأحكام القرآن (٥٢/٥)، أنوار التنـزيل وأسرار التأويل (٦٢/٢)، البحر المحيط (٥٢٨/٣)، تفسير القرآن العظيم (٢٢٢/٢).

الآية الثامنة: قوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأنعام:٨٤).

قال الطبري: جزينا إبراهيم -ﷺ- على طاعته إيانا، بأن رفعنا درجته في عليين، وآتيناه أجره في الدنيا، ووهبنا له أولادًا خصصناهم بالنبوّة، وذرية شرفناهم منا بالكرامة، وفضلناهم على العالمين. والهاء في قوله: (**وَمِن ذُرِّيَّتِهِ**)، من ذكر نوح، وذلك أن الله تعالى ذكر في سياق الآيات التي تتلو هذه الآية لوطًا فقال: (**وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ**). ومعلوم أن لوطًا لم يكن من ذرية إبراهيم صلى الله عليهم أجمعين. فإذا كان ذلك كذلك وكان معطوفًا على أسماء من سمَّينا من ذريته، كان لا شك أنه لو أريد بالذرية ذرية إبراهيم، لما دخل يونس ولوط فيهم. ولا شك أن لوطًا ليس من ذرّية إبراهيم، ولكنه من ذرية نوح، فلذلك وجب أن تكون الهاء في الذرية من ذكر نوح[١].

قال العيني: وفي ذكر عيسى-عليه السلام- في ذرية إبراهيم أو نوح على القول الآخر دلالة على دخول ولد البنات في ذرية الرجل؛ لأن عيسى، عليه الصلاة والسلام إنما ينسب إلى إبراهيم عليه السلام، بأمه مريم، عليها السلام، فإنه لا أب به[٢].

قال محمد بن العطار: لا خلاف في دخول ولد البنات في الذرية، وذلك لقوله تعالى: **﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ﴾** إلى قوله: **﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى﴾** فجعل عيسى من ذرية إبراهيم وإن لم يكن ولد ابن، وإنما هو ولد بنت[٣].

(١) جامع البيان (١١/٥٠٧).
(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٦/ ١١).
(٣) المنتقى شرح الموطإ (٦/ ١٢٤).

قال صديق خان: أي من ذرية إبراهيم؛ لأن مساق النظم الكريم لبيان شؤونه العظيمة من إيتاء الحجة ورفع الدرجات وهبة الأولاد الأنبياء وإبقاء هذه الكرامة في نسله إلى يوم القيامة[١].

قلت: المراد بالذرية في الآية: نسل نوح وإبراهيم –عليهم السلام–[٢].

الآية التاسعة: قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (سورة الأنعام: آية ٨٧).

قال البغوي: وذرياتهم أي: وَمِنْ ذُرياتهم وأراد ذرية بعضهم؛ لأنَّ عيسى ويحيى لم يكن لهما ولد وكان في ذرية بعضهم من كان كافرا، وإخوانهم واجتبيناهم، اخترناهم واصطفيناهم، وهديناهم، أرشدناهم، إلى صراط مستقيم[٣].

وقال ابن عطية: و«الذرية» الأبناء ويطلق على جميع البشر ذرية لأنهم أبناء[٤].

قلت: المراد بالذرية في الآية الأبناء، لا أعلم خلافًا في ذلك[٥].

الآية العاشرة: قوله تعالى:﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ (سورة الأنعام: ١٣٣).

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن (٤/ ١٨٥).

(٢) انظر: جامع البيان (١١/٥٠٧)، بحر العلوم (١/٤٦٥)، التفسير الوسيط للواحدي (٢/٢٩٤)، تفسير البغوي (٢/١٤١)، المحرر الوجيز (٢/٣١٦)، زاد المسير (٢/٥٠)، تفسير مفاتيح الغيب (١٣/٥٢)، الجامع لأحكام القرآن (٧/٣٢)، أنوار التنـــزيل وأسرار التأويل (٢/١٧٠)، تفسير القرآن العظيم (٣/٢٩٧)، تفسير الثعالبي (٢/٤٨٩)، فتح القدير (٢/١٥٥)، فتح البيان في مقاصد القرآن (٤/ ١٨٥)، محاسن التأويل (٤/٤١٩)، التحرير والتنوير(٧/٣٣٨).

(٣) تفسير البغوي (٢/١٤٢).

(٤) المحرر الوجيز (٢/٣١٨).

(٥) انظر: تفسير البغوي (٢/١٤٢)، زاد المسير (٢/٥١)، تفسير مفاتيح الغيب (١٣/٥٤)، الجامع لأحكام القرآن (٧/٣٤)، أيسر التفاسير لأسعد حومد (١/٨٧٧)، التحرير والتنوير (٧/٣٤٩)، تفسير القرآن العظيم (٣/٢٩٨).

قال مقاتل: يعني أهل سفينة نوح[1].

قال أبو السعود: من نسل قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم، وهم أهل سفينة نوح -عليه السلام-[2].

قلت: المراد بالذرية في الآية: النسل[3].

الآية الحادية عشرة: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَأَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (الأعراف:١٧٢،١٧٣).

قال الطبري: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد -ﷺ-: واذكر يا محمد ربَّك إذ استخرج ولد آدم من أصلاب آبائهم، فقرَّرهم بتوحيده، وأشهد بعضهم على بعض شهادَتَهم بذلك، وإقرارَهم به. فعن ابن عباس، عن النبي -ﷺ- قال: "أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنَعْمَان -يعني عرفة- فأخرج من صلبه كل ذرّية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذرِّ، ثم كلمهم قَبَلا فقال: **﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا﴾** إلى: **﴿بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾**[4].

وعن الأسود بن سريع قال: غزوت مع رسول الله -ﷺ- أربعَ غزوات قال: فتناول القوم الذرّيّة بعد ما قَتَلوا المقاتلة، فبلغ ذلك رسول الله -ﷺ- فاشتدّ عليه، ثم قال: "ما بال أقوام يتناولون الذرية"؟. فقال رجل: يا رسول الله، أليسوا أبناءَ المشركين؟ فقال:

---

(١) تفسير مقاتل (١/٥٩٠).

(٢) إرشاد العقل السليم (٣/ ١٨٧).

(٣) انظر: الكشف والبيان (٤/١٩٢). مدارك التنـزيل (١/٥٣٩)، الكشاف (٢/٦٧)، نظم الدرر (٧/٢٧٦)، السراج المنير (١/٤٥٠)، تفسير أبي السعود (٣/١٨٧)، روح البيان (٣/١٨٧)، فتح القدير (٢/١٨٧).

(٤) جامع البيان (١٣/٢٢٢) وصحح الشيخ أحمد شاكر إسناد الحديث مرفوعًا وموقوفا.

"إن خيارَكم أولادُ المشركين! ألا إنها ليست نسمة تُولد إلا ولدت على الفطرة، فما تزال عليها حتى يبين عنها لسَانها، فأبواها يهوِّدانها أو ينصرانها"، قال الحسن: والله لقد قال الله ذلك في كتابه قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾[1].

قال مكي: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بنيءادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ)، أي: استخرج الأبناء من أصلاب الآباء[2].

قلت: المراد بالذرية في الآية: الأولاد[3].

الآية الثانية عشرة: قوله تعالى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ﴾. (يونس: ٨٣).

اختلف المفسرون في المراد بالذرية في الآية على قولين:

القول الأول: أن المراد بالذرية: أولاد الذين أرسل إليهم موسى من بني إسرائيل[4][5].

---

(١) جامع البيان (٢٣١/١٣) وحسن الشيخ شاكر إسناد الحديث.

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية (٤/ ٢٦٢٤).

(٣) انظر: جامع البيان (٢٣١/١٣)، تفسير عبدالرزاق (٩٨/٢)، بحر العلوم (٥٦٣/١)، النكت والعيون (٣٠٣/٤)، معالم التنـــزيل (٢٩٩/٣)، التسهيل (٣١٢/١)، أضواء البيان (٢٩٣/٣).

(٤) وقيل: من قوم فرعون، والراجح أنهم من قوم موسى -عليه السلام- والله أعلم. **قال الطبري:** وأولى هذه الأقوال عندي بتأويل الآية: أن الذرية في هذا الموضع أريد بها ذرية من أرسل إليه موسى من بني إسرائيل، فهلكوا قبل أن يقروا بنبوته لطول الزمان، فأدركت ذريتهم فآمن منهم من ذكر الله بموسى، وإنما قلت هذا القول أولى بالصواب في ذلك لأنه لم يجر في هذه الآية ذكر لغير موسى، فلأن تكون الهاء في قوله: (من قومه) من ذكر موسى لقربهم من ذكره، أولى من أن تكون من ذكر فرعون لبعد ذكره منها، إذ لم يكن بخلاف ذلك دليل من خبر ولا نظر. وبعد، فإن في قوله: (على خوف من فرعون وملئهم). الدليل الواضح على أن الهاء في قوله: (إلا ذرية من قومه) من ذكر موسى لا من ذكر فرعون؛ لأنها لو كانت من ذكر فرعون لكان الكلام: «على خوف منه» ، ولم يكن (على خوف من فرعون)، وأما قوله: (على خوف من فرعون) فإنه يعني: على حال خوف ممن آمن من ذرية قوم موسى بموسى فتأويل الكلام: فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه من بني إسرائيل، وهم خائفون من فرعون وملئهم أن يفتنوهم. جامع البيان (١٢/ ٢٤٧).

(٥) انظر: جامع البيان (١٦٣/١٥)، تفسير ابن أبي حاتم(١٩٧٥/٦)، تفسير القرآن العزيز (٢٧٠/٢)، تفسير القرآن (٣٩٩/٢)، تفسير البغوي (٤٣٠/٢)، الكشاف (٣٦٣/٢)، المحرر الوجيز (١٣٧/٣)، زاد المسير (٣٤٣/٢)، مفاتيح الغيب (٢٨٨/١٧)، الجامع لأحكام القرآن (٣٦٩/٨)، أنوار التنـــزيل وأسرار التأويل (١٢١/٣)، التسهيل لعلوم التنـــزيل (٣٦١/١)، لباب التأويل (٤٥٦/٢)، تفسير القرآن العظيم (٢٨٧/٤)، محاسن التأويل (٥٤/٦)، تفسير المنار (٣٨٣/١١)، تيسير الكريم الرحمن (٣٧١/١).

قال مجاهد: أولاد الذين أرسل إليهم من طول الزمان، ومات آباؤهم[١].

قال الزجاج: إن موسى ظل يدعو الآباء فلم يؤمنوا وآمنت طائفة من أولادهم[٢].

وقال ابن الأنباري: وإنما قيل لهؤلاء: «ذرية» لأنهم أولاد الذين بُعث إليهم موسى، وإن كانوا بالغين[٣].

وقال الحميدي: شباب من بني إسرائيل، صبروا على الخوف، لما ثبت في قلوبهم الإيمان[٤].

القول الثاني: أن المراد بالذرية القليل.

قال قتادة: كان ابن عباس يقول: "الذرية": القليل[٥].

قلت: لم أجد من فسر الذرية بالقليل من السلف وأهل اللغة سوى ابن عباس – رضي الله عنهما–، فيكون المراد بالذرية في الآية: الأولاد من نسل بني إسرائيل، وكانوا قليلا والله أعلم.

الآية الثالثة عشر: قوله تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ (الرعد:٢٣).

قال سعيد بن جبير: يدخل المؤمن الجنة فيقول: أين أبي؟ أين أمي، أين ولدي[٦].

قال الطبري: إنه يدخل مع الرجل أبواه وولده وزوجته الجنة، وإن لم يكونوا عملوا عمله بفضل رحمة الله إياه[٧].

---

(١) جامع البيان (١٥/ ١٦٤).
(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٠).
(٣) زاد المسير (٢/٣٤٤).
(٤) أصول السنة للحميدي (ص٣٧١).
(٥) جامع البيان (١٥/ ١٦٣).
(٦) تفسير البغوي (٧/ ١٤١).
(٧) جامع البيان (٢٠/ ٢٨٥).

وقال السمعاني: وقوله: (وأزواجهم وذرياتهم) أي: وأهليهم وأولادهم[١].

قلت: المراد بالذرية في الآية: الأبناء، لا أعلم فيه خلافًا[٢].

الآية الرابعة عشرة: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (الرعد:٣٨).

قال مقاتل بن سليمان: (**أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً**) يعني: النساء والأولاد[٣].

قال السمعاني: أي: وكذلك عامة الأنبياء تزوجوا وولد لهم[٤]، **وقال ابن سعدي:** فلا يعيبك أعداؤك بأن يكون لك أزواج وذرية، كما كان لإخوانك المرسلين، فلأي شيء يقدحون فيك بذلك وهم يعلمون أن الرسل قبلك كذلك[٥].

قلت: المراد بالذرية في الآية الأولاد، لا أعلم فيه خلافًا[٦].

الآية السادسة عشرة: قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ (إبراهيم٣٧).

اختلف المفسرون في المراد بالذرية في الآية على قولين:

القول الأول: أنه إسماعيل -عليه السلام-[٧].

---

(١) تفسير القرآن (٥/ ٨).

(٢) انظر: جامع البيان (٥١١/١٣)، بحر العلوم (٢٢٥/٢)، الجامع لأحكام القرآن (٣١٢/٩)، تفسير القرآن العظيم (٤٥١/٤)، التحرير والتنوير (١٣١/١٣)، الصحيح المسبور (١١٦/٣).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٣٨٢).

(٤) تفسير القرآن (٣/ ٩٩).

(٥) تيسير الكريم الرحمن (٤١٩/١).

(٦) انظر: جامع البيان (٤٧٦/١٦)، وتفسير مقاتل (٣٨٢/٢)، تفسير القرآن العزيز (٣٥٩/٢)، النكت والعيون (١١٧/٣)، التفسير الوسيط (١٩/٣)، الكشاف (٥٤٣/٢)، زاد المسير (٤٩٩/٢)، فتح القدير (١٠٥/٣).

(٧) انظر: جامع البيان (١٧/ ٢٤)، تفسير مقاتل (٤٠٨/٢)، بحر العلوم (٢٤٦/٢)، تفسير القرآن العزيز (٣٧٢/٢)، الوسيط (٣٤/٣)، الكشاف (٥٥٨/٢)، المحرر الوجيز (٣/ ٣٤١)، ومفاتيح الغيب (١٩/ ١٠٤) التسهيل لعلوم التنـــزيل (١/ ٤١٢) البحر المحيط (٦/ ٤٤٦)، فتح القدير (١٣٥/٣)، التحرير والتنوير (١٣/ ٢٤١)، تيسير الكريم الرحمن (٤٢٧).

قال سعيد بن جبير (**إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ**): حين وضع إسماعيل، **وقال مقاتل:** يعني إسماعيل ابني خاصة.

قال الطبري: فتأويل الكلام: ربنا إني أسكنت بعض ولدي بواد غير ذي زرع.

وقال ابن عطية: (**مِنْ ذُرِّيَّتِي**) يريد: إسماعيل عليه السلام.

القول الثاني: أنه إسماعيل -عليه السلام- وأمه هاجر[1].

قال الماوردي: يريد بهم إسماعيل وهاجر أُمه، **وقال السمعاني:**الذرية هاهنا إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر.

قلت: المراد بالذرية في الآية إسماعيل عليه السلام، وأما من عدَّ هاجر من الذرية فهو من باب أنها أصل له، كقولهم للمطر: سماء، والله أعلم.

الآية السابعة عشرة: قوله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء﴾ (إبراهيم: ٤٠).

قال البغوي: واجعل من أولادي من يقيم الصلاة[2]، **وقال السمين الحلبي:** واجعل بعضَ ذريَّتي مقيمَ الصلاة[3].

قلت: المراد بالذرية في الآية: الأولاد والنسل، ولا أعلم فيها خلافًا، وإن كان غالب المفسرينلم يصرح بلفظ الأولاد اكتفاءً باشتهار الأمر[4].

---

(١) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٣٨٢٥/٥)، النكت والعيون (١٣٨/٣)، تفسير القرآن(٣/ ١٢٠)، الجامع لأحكام القرآن (٣٧١/٩) الدر المنثور (٤٧/٥).

(٢) معالم التنـــزيل (٣/ ٤٤) وانظر: نفس المصدر(١/ ١٦٢).

(٣) الدر المصون (٧/ ١١٧).

(٤) انظر: الكشف والبيان (٣٢١/٥)، وتفسير القرآن العظيم (٥١٤/٤)، تفسير الثعالبي (٣٨٧/٣)، تيسير الكريم المنان (٤٢٧/١)، التحرير والتنوير (٢٤٤/١٣)، التفسير الوسيط (٣٤/٣).

الآية الثامنة عشرة: قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً﴾ (الإسراء: ٣).

قال قتادة: فالناس كلهم ذرية من أنجى في تلك السفينة[١].

قال الطبري: والمعروف من معنى "الذرية" في كلام العرب: أنها أعقاب من نسبت إليه من قبل الرجال والنساء، كما قال جل ثناؤه: (**ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ**)[٢].

قال أبو الليث: ذرية من حملنا مع نوح في السفينة في أصلاب الرجال وأرحام النساء[٣].

قلت: المراد بالذرية في الآية: كل مَن على الأرض من نسل بني إسرائيل وغيرهم[٤].

الآية التاسعة عشرة: قوله تعالى: (قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إَلاَّ قَلِيلاً) (سورة الإسراء:٦٢).

قال الثعلبي: في قوله تعالى: (**لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ**) أي: لأستولين على أولاده، ولأحتوينهم ولأستأصلنهم بالإضلال ولأجتاحنهم[٥].

قلت: المراد بالذرية في الآية: أبناء آدم -عليه السلام- ونسله إلى يوم القيامة[٦].

---

(١) تفسير يحيى بن سلام (١/ ١١٤).
(٢) جامع البيان (١٥/ ١٦٦).
(٣) بحر العلوم (٢/ ٣٠٠).
(٤) انظر: تفسير مجاهد (٤٢٨/١)، تفسير سفيان الثوري (١٦٨/١)، تفسير يحيى بن سلام (١١٤/١)، تفسير عبدالرزاق (٢/ ٢٩٠)، معاني القرآن (٢٢٦/٣)، تفسير ابن أبي حاتم محققًا (٢٣٠٩/٧)، معاني القرآن للفراء (١١٦/٢) تفسير القرآن العزيز (١٢/٣)، التفسير الوسيط (٩٦/٣)، الوجيز (٦٢٨/١)، معالم التنـزيل (١١٢/٣)، المحرر الوجيز (٤٣٦/٣)، الجامع لأحكام القرآن (٢١٣/١٠)، زاد المسير (٩/٣)، عمدة القاري (٢٦/١٩). تفسير القرآن العظيم (٤٦/٥)، فتح القدير (٢٤٧/٣)، التحرير والتنوير (٢٦/١٥).
(٥) الكشف والبيان (٦/ ١١٢).
(٦) انظر: الكشف والبيان (٦/ ١١٢)، الجامع لأحكام القرآن (٢٨٧/١٠)، أنوار التنـزيل وأسرار التأويل (٢٦٠/٣)، تفسير القرآن العظيم (٩٣/٥).

الآية العشرون: قوله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ) (سورة الكهف: ٥٠).

قال قتادة والحسن: يعني أولاده، يتوالدون كما يتوالد بنو آدم.**وقال ابن زيد:** قال الله لإبليس: إني لا أذرأ لآدم ذرّية إلا ذرأت لك مثلها، فليس من ولد آدم أحد إلا له شيطان قد قرن به [١].

وقال مجاهد: ذرّيته: هم الشياطين، وكان يعدّهم "زلنبور" صاحب الأسواق ويضع رايته في كلّ سوق ما بين السماء والأرض، و"ثبر" صاحب المصائب، و"الأعور" صاحب الزنا و"مسوط" صاحب الأخبار، يأتي بها فيلقيها في أفواه الناس، ولا يجدون لها أصلا و"داسم" الذي إذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر الله بصره من المتاع ما لم يرفع، وإذا أكل ولم يذكر اسم الله أكل معه[٢].

وقال الشنقيطي: وقوله في هذه الآية: (وَذُرِّيَّتَهُ) دليلٌ على أنَّ للشيطان ذُرية[٣]، فادِّعَاء أنَّه لا ذُرية له مناقض لهذه الآية مناقضة صريحة، وَكُل ما ناقض صريح القرآن فهو باطل بلا شك [٤].

قلت: المراد بالذرية في الآية: الشياطين من نسل إبليس لعنهم الله جميعًا، وهم

(١) انظر: جامع البيان (١٨/ ٤٤)، التفسير الوسيط (٣/ ١٥٣).

(٢) جامع البيان (٤٣/١٨).

(٣) **قال الشعبي:** إني لقاعد يوما إذ أقبل جمال ومعه دن حتى وضعه، ثم جاءني فقال: أنت الشعبي؟ قلت: نعم. فقال: أخبرني هل لإبليس زوجة؟ قلت: إن ذلك لعرس ما شهدته. قال: ثم ذكرت قول الله تعالى: (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني)، فعلمت أنه لا يكون ذرية إلا من زوجة، قلت: نعم. فأخذ دنه وانطلق، الكشف والبيان (٦/ ١٧٦).

(٤) أضواء البيان (٢٩٢/٣) بتصرف يسير.

يتوالدون كما يتوالد بنو آدم[١].

الآية الواحدة والعشرون: قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً﴾ (سورة مريم: ٥٨).

قال الطبري: يقول تعالى ذكره لنبيه -ﷺ-: هؤلاء الذين اقتصصتُ عليك أنباءهم في هذه السورة يا محمد، الذين أنعم الله عليهم بتوفيقه، فهداهم لطريق الرشد من الأنبياء من ذرّية آدم، ومن ذرّية من حملنا مع نوح في الفُلك، ومن ذرّية إبراهيم خليل الرحمن، ومن ذرّية إسرائيل، وممن هدينا للإيمان بالله والعمل بطاعته واجتبينا.. فالذي عنى به من ذرية آدم: إدريس، والذي عنى به من ذرية من حملنا مع نوح: إبراهيم، والذي عنى به من ذرية إبراهيم: إسحاق ويعقوب وإسماعيل، والذي عنى به من ذرية إسرائيل: موسى وهارون وزكريا وعيسى وأمه مريم، ولذلك فرق تعالى ذكره أنسابهم وإن كان يجمع جميعهم آدم لأن فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح في السفينة، وهو إدريس، وإدريس جدّ نوح[٢].

قال ابن الجوزي: ﴿**أُوْلَئِكَ**﴾ يعني: الذين ذكرهم من الأنبياء في هذه السورة ﴿**مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ**﴾ يعني إدريس، ﴿**وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ**﴾ يعني إبراهيم، لأنه من ولد سام بن نوح، ﴿**وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ**﴾ يريد: إسماعيل وإسحاق ويعقوب، ﴿**وَإِسْرَائِيلَ**﴾ يعني: ومن ذرية إسرائيل؛ وهم: موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى[٣].

---

(١) انظر: تفسير يحيى ابن سلام (١/١٩١)، تفسير ابن أبي حاتم محققًا (٧/٢٣٦٧)، تفسير القرآن العزيز (٣/٦٨)، الكشف والبيان (٦/١٧٧)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٦/٤٤٠٤)، النكت والعيون (٣/٣١٣)، التفسير الوسيط للواحدي (٣/١٥٣)، تفسير البغوي (٣/١٩٨)، زاد المسير (٣/٩٠)، تفسير مفاتيح الغيب (٢١/٤٧٣)، الجامع لأحكام القرآن (١٠/٤٢٠)، أضواء البيان (٣/٢٩٢)، لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٢٢).

(٢) جامع البيان (١٨/٢١٤).

(٣) زاد المسير (٣/ ١٣٧).

قلت: المراد بالذرية في الآية: هم النسل والعقب(١).

الآية الثانية والعشرون: قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً) (سورة الفرقان:٧٤).

قال محمد بن كعب: ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده يطيعون الله(٢).

وسئل الحسن عن قول الله: **(هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ)** في الدنيا والآخرة؟ قال: لا بل في الدنيا، قال: وما ذاك؟ قال: المؤمن يرى زوجته وولده يطيعون الله(٣).

قال ابن تيمية: سألوا الله أن يهب لهم من أزواجهم وأولادهم قرة أعين(٤).

وقال القاسمي: يهبهم أولادا وحفدة، تقر بهم العيون وتسر بمكانهم الأنفس، لحيازتهم الفضائل واتصافهم بأحسن الشمائل(٥)

قلت: المراد بالذرية في الآية: الأولاد والحفاد(٦).

---

(١) جامع البيان (١٨/٢١٤)، وانظر: بحر العلوم (٢/٣٨٠)، تفسير القرآن العزيز(٣/١٠٠)، التفسير الوسيط للواحدي (٣/١٨٧)، تفسير القرآن (٣/٣٠١)، تفسير البغوي (٣/٢٣٩)، الكشاف (٣/٢٥)، المحرر الوجيز (٤/٢١)، الجامع لأحكام القرآن (١١/١٢٠)، تفسير القرآن العظيم (٥/٢٤٢)، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (١/٢٥٧)، التحرير والتنوير (١٦/١٣١).

(٢) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (٢/ ١٤١).

(٣) جامع البيان(١٩/ ٣١٨).

(٤) جامع المسائل لابن تيمية (٤/ ٧٧).

(٥) محاسن التأويل (٧/ ٤٤٥).

(٦) انظر: جامع البيان (١٩/٣١٩)، وانظر: بحر العلوم (٢/٥٤٧)، النكت والعيون (٤/١٦٠)، التفسير الوسيط للواحدي (٣/٣٤٩)، تفسير القرآن (٤/٣٦)، معالم التنـزيل (٣/٤٥٩)، زاد المسير (٣/٣٣٢)، مفاتيح الغيب (٢٤/٤٨٧)، الجامع لأحكام القرآن (١٣/٨٢)، جامع المسائل لابن تيمية (٤/ ٧٧)، تفسير القرآن العظيم (٦/١٣٣)، أنوار التنـزيل وأسرار التأويل (٤/١٣١)، محاسن التأويل (٧/٤٤٥)، التحرير والتنوير (١٩/٨١).

الآية الثالثة والعشرون: قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (سورة العنكبوت: ٢٧).

قال الواحدي: وذلك أن الله لم يبعث نبيا من بعد إبراهيم-عليه السلام- إلا من صلبه[١].

وقال السمعاني: إن الله تعالى لم يبعث نبيا بعد إبراهيم إلا من نسله، فإن قيل: كيف لم يذكر إسماعيل، وذكر إسحاق ويعقوب، وقد كان إسماعيل نبيا مثل إسحاق؟ قلنا: قد دخل إسماعيل في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ وأيضا فإن الله تعالى يذكر البعض، ويترك البعض اختصارا وإيجازا، وإن كان المعنى في الكل واحد[٢].

قال الشوكاني: فكل نبي بعثه الله بعد إبراهيم هو من ذريته[٣].

قلت: المراد بالذرية في الآية: أولاد إبراهيم-عليه السلام- ونسله[٤].

الآية الرابعة والعشرون: قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ (سورة يس: ٤١).

وهي موضوع بحثنا وسوف نفرد لها مبحثًا خاصًّا بإذن الله.

الآية الخامسة والعشرون: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ (سورة الصافات: ٧٧).

قال قتادة: في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ قال: فالناس كلهم من ذرية نوح[٥].

---

(١) التفسير الوسيط (٤١٨/٣).
(٢) تفسير القرآن (٤/ ١٧٧).
(٣) فتح القدير (٥/ ٣١).
(٤) انظر: التفسير الوسيط (٤١٨/٣)، تفسير القرآن (١٧٧/٤)، تفسير البغوي (٥٥٥/٣)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٥٦١٩/٩)، زاد المسير (٤٠٥/٣)، الجامع لأحكام القرآن (٣٤٠/١٣)، تفسير القرآن العظيم (٢٧٥/٦).
(٥) جامع البيان(٢١/ ٥٩).

قال مقاتل: إن أهل السفينة ماتوا و لم يكن لهم نسل غير ولد نوح وكان الناس من ولد نوح، فلذلك قال: **(هُمُ الْبَاقِينَ)** فقال النبي -ﷺ- سام أبو العرب، ويافث أبو الروم، وحام أبو الحبش[1].

قال يحيى بن سلام: في قوله تعالى: **(وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ)** فالناس كلهم ولد سام، وحام، ويافث[2].

وقال الطبري: وجعلنا ذريّة نوح هم الذين بقوا في الأرض بعد مَهْلِك قومه، وذلك أن الناس كلهم من بعد مَهلِك نوح إلى اليوم إنما هم ذرية نوح، فالعجم والعرب أولاد سام بن نوح، والترك والصقالبة والخَزَر أولاد يافث بن نوح، والسودان أولاد حام بن نوح[3].

وقال ابن تيمية: فلم يجعل باقيا إلا ذريته،كما روي ذلك عن النبي-ﷺ-: "أن أولاده ثلاثة"[4].

قلت: المراد بالذرية في الآية:هم أولاد نوح -عليه السلام- ونسلهم[5].

الآية السادسة والعشرون: قوله تعالى: (وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ) (سورة الصافات: ١١٣).

قال أبوالليث: أي: على إبراهيم وعلى إسحاق، وبركته النماء، والزيادة في

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦١٠).
(٢) تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٨٣٥).
(٣) جامع البيان (٥٩/٢١).
(٤) الإيمان، ابن تيمية (٧٧).
(٥) انظر: جامع البيان (٥٩/٢١)، تفسير ابن أبي حاتم محققًا (٣٢١٨/١٠)، تفسير القرآن العزيز (٦٤/٤)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٦١١٨/٩)، التفسير الوسيط للواحدي (٥٥٥/٢)، تفسير مفاتيح الغيب (٣٣٩/٢٦)، غاية الأماني في الرد على النبهاني (١/ ٥٣٨)، الجامع لأحكام القرآن (٨٩/١٥)، تفسير القرآن العظيم (٢٢/٧)، محاسن التأويل (١٠٤/٦) .

الأموال، والأولاد، فكان من صلبه ذرية لا تحصى، ومن ذريتهما محسن مثل موسى وهارون وداود وسليمان وعيسى عليهم السلام؛ ومؤمنو أهل الكتاب، (**وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ**) يعني: الذين كَفَرُواْ بآيات الله عز وجل[1].

وقال السمعاني: باركنا على إبراهيم وعلى إسحق، والبركة هاهنا: كثرة الولد، ويقال: البركة كثرة الأنبياء في أولادهما[2].

وقال أبو السعود: (وباركنا عليه): على إبراهيم في أولاده، (وعلى إسحاق) بأن أخرجنا من صلبه أنبياء بني إسرائيل وغيرهم كأيوب وشعيب عليهم السلام[3].

قلت: المراد بالذرية في الآية: أولاد إبراهيم وإسحاق عليهما السلام، لا أعلم فيه خلافًا بين المفسرين[4].

الآية السابعة والعشرون: قوله تعالى: (**رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُم وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**) (سورة غافر: ٨).

عن سعيد بن جبير قال: يدخل الرجل الجنة، فيقول: أين أبي، أين أمي، أين ولدي، أين زوجتي، فيقال: لم يعملوا مثل عملك، فيقول: كنت أعمل لي ولهم، فيقال: أدخلوهم الجنة؛ ثم قرأ: (**جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ**) [5].

قال الطبري: يدخل مع الرجل أبواه وولده وزوجتهاالجنة، وإن لم يكونوا عملوا

---

(١) بحر العلوم (٣/١٥٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤١٠) .

(٣) إرشاد العقل السليم (٧/ ٢٠٢).

(٤) انظر: الكشف والبيان (٨/١٥٨)، التفسير الوسيط (٣/٥٣١)، معالم التنزيل (٤/٣٩)، زاد المسير (٣/٥٤٩)، الجامع لأحكام القرآن (١٥/١١٣)، تفسير الجلالين (١/٥٩٤).

(٥) جامع البيان (٢١/٣٥٦).

عمله بفضل رحمة الله إياه[1].

قال السمعاني: وقوله: (وأزواجهم وذرياتهم) أي: وأهليهم وأولادهم[2].

قلت: المراد بالذرية في الآية: الأولاد [3].

الآية الثامنة والعشرون: قوله تعالى: **(قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)** (سورة الأحقاف: ١٥).

عن علي-ﷺ- أنه قال في قوله تعالى: **(وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا)**: نـــزلت في أبي بكرأسلم أبواه جميعًا ولم يجتمع لأحد من أصحاب رسول الله،.. وقال: **(وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي)** أن تجعلهم مؤمنين صالحين، فأجاب الله تعالى أبا بكر في أولاده فأسلموا، ولم يكن أحد من الصحابة أسلم هو ووالداه وبنوه وبناته إلا أبو بكر -ﷺ-[4].

قال مقاتل: يقول: واجعل أولادي مؤمنين[5]، **وقال أبو الليث**: اجعلهم أولاداً صالحين مسلمين[6]، **وقال ابن كثير**: **(فِي ذُرِّيَّتِي)** أي: نسلي وعقبي[7].

---

(١) جامع البيان (٢١/٣٥٦).

(٢) تفسير القرآن(٥/ ٨).

(٣) جامع البيان (٢١/٣٥٦)، وانظر: الكشف والبيان (٨/٢٦٨)، تفسير البغوي (٤/١٠٧)، المحرر الوجيز (٤/٥٤٨)، التحرير والتنوير (٢٤/٩٣).

(٤) وقد ضعف هذا القول أبو حيان فقال: وهو مشكل، لأنها نـــزلت بمكة وأبوه أسلم عام الفتح، ولقوله: (أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا): فلم يقصد بذلك أبو بكر ولا غيره. والمراد بالإنسان الجنس، ولذلك أشار بقوله: أولئك جمعا. قلت: والذي يظهر أن مراد ابن عباس بنـــزولها في أبي بكر إنما هو من باب أنه داخل في معنى الآية لا أنها نـــزلت فيه. انظر: الكشف والبيان (٩/ ١٢)، البحر المحيط (٩/ ٤٤١) .

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٢٠)

(٦) بحر العلوم (٣/ ٢٨٨).

(٧) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٨١).

قلت: المراد بالذرية في الآية: الأبناء من بنين وبنات، لا أعلم في هذا خلافًا[(١)].

الآية التاسعة والعشرون: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (سورة الطور:٢١).

اختلف المفسرون في المراد بالذرية في الآية على قولين:

القول الأول: الذرية هم الأولاد – الصغار والكبار–[(٢)].

قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿والَّذِينَ آمَنُوا وأتْبَعْناهُم ذُرِّيَّاتِهِمْ بِإِيمانٍ﴾ قال: المؤمن ترفع له ذرّيته، فيلحقون به، وإن كانوا دونه في العمل[(٣)].

القول الثاني: الذرية هم الأولاد الصغار فقط[(٤)].

قال مقاتل: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ يعني: الصغار الذين لم يبلغوا العمل من أولاد المؤمنين فهم معهم وأزواجهم في الدرجة لتقر أعينهم[(٥)].

النتيجة: أن لفظ الذرية هنا يشمل عموم الأولاد، الصغار والكبار.

---

(١) انظر: جامع البيان (٢٢/١١٥)، تفسير مقاتل (٤/٢٠)، تفسير التستري (١/١٤٤)، بحر العلوم (٣/٢٨٨)، الكشف والبيان (٩/١٢)، النكت والعيون (٥/٢٧٨)، التفسير الوسيط للواحدي (٤/١٠٨)، تفسير البغوي (٤/١٩٥)، المحرر الوجيز (٥/٩٨).

(٢) انظر: جامع البيان (٢٢/٤٦٧) ورجح هذا القول، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٤/٢٩٧) وذكر أنه كذلك ترفع الآباء للأبناء إذا كان دونهم في العمل، وكذلك ابن كثير (٧/٤٣٣)، الكشف والبيان (٩/١٢٧)، التفسير الوسيط (٤/١٨٦)، تفسير البغوي (٤/٢٩٢)، الكشاف (٤/٤١٤)، المحرر الوجيز (٥/١٨٩)، تذكرة الأريب في معرفة الغريب (١/٣٧٢)، أنوار التنـــزيل (٥/١٥٤)، لباب التأويل (٦/٢٥٠)، فتح القدير (٥/٩٨)، تيسير الكريم الرحمن (١/٨١٥).

(٣) جامع البيان (٢٢/٤٦٨) ورجح هذا القول، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم محققًا (١٠/٣٣١٦)، بحر العلوم (٣/٢٥٣).

(٤) انظر: بحر العلوم (٣/٢٥٣)، مفاتيح الغيب (٢٨/٢٠٨)، ملاك التأويل القاطع (٢/٤٥٣)، التفسير القيم (١/٤٩١).

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٤٥).

قال الطبري: وأولى هذه الأقوال بالصواب وأشبهها بما دلّ عليه ظاهر التنـزيل، القول الذي ذكرنا.. عن ابن عباس، وهو: والذين آمنوا بالله ورسوله، وأتبعناهم ذرياتهم الذين أدركوا الإيمان بإيمان، وآمنوا بالله ورسوله، ألحقنا بالذين آمنوا ذريتهم الذين أدركوا الإيمان فآمنوا، في الجنة فجعلناهم معهم في درجاتهم، وإن قصرت أعمالهم عن أعمالهم تكرمة منا لآبائهم، وما ألتناهم من أجور عملهم شيئا، وإنما قلت: ذلك أولى التأويلات به؛ لأن ذلك الأغلب من معانيه [(١)].

وقال الثعلبي: فأدخل الأبناء بصلاح الآباء الجنة[(٢)].

قلت: الظاهر أن المراد بالذرية في الآية: عموم الأولاد والله أعلم[(٣)].

الآية الثلاثون: قوله تعالى: **(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ)** (سورة الحديد:٢٦).

قال الطبري: **(وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ)**، وكذلك كانت النبوّة في ذرّيتهما، وعليهم أنـزلت الكتب: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان، وسائر الكتب المعروفة[(٤)].

قال ابن كثير: يخبر تعالى أنّه منذ بعث نوحًا -عليه السلام- لم يُرسل بعده رسُولاً ولا نبيًّا إلا من ذريته، وكذلك إبراهيم -عليه السلام- خليلُ الرحمن، لم يُنـزل من السَّماء كتابا

---

(١) جامع البيان(٢٢/ ٤٧٠).

(٢) الكشف والبيان (٩/ ١٥٣).

(٣) **وقد رجح ابن القيم خلاف ذلك فقال ابن القيم:** وقد اختلف المفسرون في "الذرية" في هذه الآية، هل المراد بها: الصغار، أو الكبار، أو النوعان،.. ثم قال: واختصاص "الذرية" ههنا بالصغار: أظهر؛ لئلا يلزم استواء المتأخرين بالسابقين في الدرجات، ولا يلزم مثل هذا في الصغار؛ فإن أطفال كل رجل وذريته معه في درجته، وأما الكبار الذين تزوجوا: فهم مستقلون بأنفسهم في درجاتهم في الجنة والله أعلم" حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (٢٧٩-٢٨١).

(٤) جامع البيان (٢٣/٢٠٢).

ولا أرسل رسُولاً ولا أوحى إلى بشر من بعده، إلا وهو من سُلالته[١].

قال النسفي: خُصا بالذكر لأنهما أبوان للأنبياء عليهم السلام، ﴿**وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا**﴾: أولادهما ﴿**النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ**﴾ الوحي[٢].

قلت: المراد بالذرية في الآية: نسل نوح وإبراهيم عليهما السلام، فما كانت النبوة إلا في سُلالتهما[٣].

قلت: من خلال استعراض معاني الذرية في استعمالات القرآن ظهر لي أن هذه اللفظة تطلق ويراد بها: الأبناء والنسل والعقب، وقد تطلق ويُراد بها الواحد وقد يراد بها الجماعة.

* * *

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/٢٨).

(٢) مدارك التنزيل (٣/ ٤٤٢).

(٣) انظر: تفسير مقاتل (٤/٢٤٥)، جامع البيان (٢٣/٢٠٢)، بحر العلوم (٣/٤١٠)، المحرر الوجيز (٥/٢٦٩)، مفاتيح الغيب (٢٩/٤٧٢)، الجامع لأحكام القرآن (١٧/٢٦٢)، مدارك التنزيل (٣/٤٤٢)، فتح القدير (٥/٢١٣).

المبحث الثالث
تحرير القول في المراد بالذرية في قوله تعالى: (وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ)

اختلف المفسرون في المراد بالذرية في قول الله تعالى: (وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن المراد بالذرية: الآباء، وهو قال ابن عباس وأبان بن عثمان والمفضل بن سلمة وأبو عثمان ومقاتل بن سليمان ويحيى بن سلام(1)، **واختاره** الزجاج وابن أبي حاتم وأبو الليث والثعلبي والواحدي والسمعاني والراغب الأصفهاني ومكي ابن أبي طالب والإيجي وأبو العباس البسيلي والخطابي والقصاب والدامغاني وابن حجر الهيتمي والسمين الحلبي والسرخسي وأبو حيان والعز بن عبد السلام وابن عادل والزملكاني والمقريزي وابن كثير، والخازن والقاسمي وابن عاشور(2).

---

(1) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/٥٨٠)، تفسير يحيى بن سلام (٢/٨١٠)، تفسير الماوردي (٥/١٩)، الجامع لأحكام القرآن (١٥/٣٤)، زاد المسير (٣/٥٢٥)، البحر المحيط (٩/٦٩).

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج (٤/٢٨٨)، تفسير ابن أبي حاتم (١٠/٣١٩٦)، بحر العلوم (٣/١٢٤)، الكشف والبيان (٨/١٢٩)، تفسير الواحدي (٣/٥١٤)، تفسير القرآن (٤/٣٨٠)، تفسير الراغب (٢/٥٢٦)، الهداية في بلوغ النهاية (٩/٦٠٤٠)، سرد أسباب قبول هذا الرأي، فأرى أنه مال إلى الرأي، تفسير الإيجي (٣/٤٢٦)، نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٣/٤٥٢)، معالم السنن (٢/٤٥٨)، النكت الدالة على البيان (٤/٣٩٣)، قاموس القرآن (١/١٧٩)، الدر المصون (٩/٢٧١)، البحر المحيط (٩/٦٩)، تفسير العز (٣/٤٠)، تفسير ابن عادل (١٦/٢٢٥)، لباب التأويل (٦/٩)، الفتاوى الحديثية (١/١٦١)، المبسوط (٢٩/١٥٢)، الموسوعة الفقهية الكويتية (٢١/٢٠٨)، الحاوي للفتاوي (١/٣٦١)، ورسائل المقريزي (١/٢٠٠)، محاسن التأويل (٨/١٨٦)، التحرير والتنوير (٢٣/٢٧).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

أولاً: أنه ورد في اللغة استعمال الذرية بمعنى الآباء.

قال أبان بن عثمان: الذُّرية الأصل، والذُّرية النَّسل[١].

قال المفضل بن سلمة: والذرية أيضًا: الآباء؛ لأن الذرء وقع منهم، فهو من الأضداد[٢].

وجاء في تاج العروس: "وقد يطلق على الأصول والوالدين أيضًا، فهو من الأضداد، قال: ومنه قوله تعالى: ﴿**وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ**﴾ فتأمل"[٣].

قال أبو حيان:فالآباء داخلون في اسم الذرية كقوله تعالى: ﴿**وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ**﴾[٤].

قال أبو البقاء: "وقيل: الذرية من الأضداد، تجيء تارة بمعنى الأبناء، وتارة بمعنى الآباء[٥].

قال ابن عاشور: الذرية اسم مشتق من ذرأ اللّه الخلق فالولد ذرية لأنهم ذرئوا أي خلقوا والأب ذرية لأن الولد ذرىء منه ويدل على صحة ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ**﴾ يريد واللّه أعلم نوحاً ومن معه فجعل الآباء ذرية كالأولاد لصدور الاسمين معاً عن الذرء[٦].

ثانيًا: أن المقام مقام امتنان على كفار قريش بحمل الله لآبائهم وإنجائهم من الغرق.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم محققًا (١٣٩٠/٤).

(٢) زاد المسير (٥٢٥/٣).

(٣) تاج العروس (٣٦٧/١١).

(٤) البحر المحيط (٥٧١/٩).

(٥) الكليات (٤٦٢/١).

(٦) التحرير والتنوير (٢٧/٢٣).

القول الثاني: أن المراد بالذرية: الأبناء؛ لأنهم ذرء الآباء. وهو قول السدي[(١)]، **واختاره** الطبري والزمخشري والبيضاوي والنسفي والخازن والرازي وابن القيم وابن سعدي[(٢)].

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

أولاً: أن المعهود في القرآن إطلاق الذرية على الأبناء، كما مرّ بنا في المبحث السابق.

ثانيًا: أن المعروف من كلام العرب إطلاق الذرية على الأبناء؛ فيجب حمله عليه.

قال ابن القيم: لا خلاف بين أهل اللغة أن الذرية تقال على الأولاد الصغار وعلى الكبار أيضًا[(٣)].

ثالثًا: أنه حمل للفظ على ظاهره المتبادر إلى ذهن السامع.

قال يحيى بن سلام: (**أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ**) يَعْنِي: نُوحًا وَبَنِيهِ الثَّلَاثَةَ سَامٌ، وَحَامٌ وَيَافِثٌ مِنْهُمْ ذُرِّيَ الْخَلْقُ بَعْدَ مَا غَرَقَ قَوْمُ نُوحٍ[(٤)].

قال الطبري: (**حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ**) يعني: من نجا من ولد آدم في سفينة نوح[(٥)].

وقال البيضاوي: أولادهم الذين يبعثونهم إلى تجاراتهم، أو صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم، فإن الذرية تقع عليهن لأنهن مزارعها[(٦)].

القول الثالث: أن المراد بالذرية: الجنس؛ أبناء جنسهم، وهو قول علي بن

---

(١) النكت والعيون (١٩/٥).

(٢) انظر: جامع البيان (٥٢١/٢٠)، الكشاف (٢١/٤)، وذكر أن حمل الأبناء كان عن طريق حملهم في أصلاب الآباء، زاد المسير (٥٢٥/٣)، مفاتيح الغيب (٢٨٣/٢٦)، أنوار التنزيل (٢٦٩/٤)، مدارك التنزيل (١٠٥/٣)، لباب التأويل (٨/٤)، جلاء الأفهام (٢٦٠)، تيسير الكريم المنان (٦٩٦).

(٣) جلاء الأفهام (٢٦٠).

(٤) تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٨١٠).

(٥) جامع البيان (٢٠/ ٥٢١).

(٦) أنوار التنزيل (٢٦٩/٤) وانظر: الكشاف (١٨/٤)، محاسن التأويل (٨/ ١٨٦)، روح المعاني (٢٦/١٢).

سليمان[١]، **واختاره** ابن عطية وابن جزي وابن عثيمين[٢].

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

أولاً: أنه الموافق لظاهر القرآن، ولسياق الآية.

قال ابن عثيمين: فالضمير في قوله: (**ذُرِّيَّتَهُمْ**) إلى الموجودين باعتبار الجنس، فمَن هو الجنس؟ قالوا: هو نوح؛ لأنه بشر وآدمي، وذريته هي المحمولة، فيكون المعنى: أنا خلقنا ذريتهم، أي ذرية جنسهم، وهو نوح -عليه السلام- حُملت ذريته في الفلك المشحون، وخلق لهم من مثله ما يركبون، وهذا قريب جدًا، **ولا يخالف ظاهر الآية،** ويشير إلى أن هذه السفينة جُعلت آية لمنبعدنوح عليه الصلاة والسلام يعتبرون بها ويصنعون مثلها، كما في قوله تعالى: (**وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ**).

فالمراد بالذرية هنا ذرية نوح -عليه السلام- وأضيفت إلى هؤلاءباعتبار الجنس يعني: حملنا الذرية من جنسهم في الفلك المشحون وهذا القول هو الذي تطمئن إليه النفس **ولا يأباه السياق**[٣].

ثانيًا: أن القول بالجنس حمل للآية على العموم وهو أولى.

قال ابن عطية: .. الضمير المتصل بالذريات هو ضمير الجنس، كأنه قال ذريات جنسهم أو نوعهم هذا أصح ما اتجه في هذا[٤].

وقال ابن جزي: والأظهر أنه أراد بالفلك جنس السفن، فيعني جنس بن آدم، وإنما خص ذريتهم بالذكر لأنه أبلغ في الامتنان عليهم، ولأن فيه إشارة إلى حمل أعقابهم إلى يوم القيامة[٥].

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣٤/١٥).
(٢) انظر: المحرر الوجيز (٤٥٤/٤)، التسهيل لعلوم التنـــزيل (١٨٣/٢)، تفسير سورة يس (١٥٢).
(٣) تفسير سورة يس (١٥٢).
(٤) المحرر الوجيز (٤٥٥/٤).
(٥) التسهيل لعلوم التنـــزيل (١٨٣/٢).

وقد اعترض على هذا القول: بأن فيه تكرير للمعنى في قوله: (**وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ**)، وأن هذا التكرير تأباه فصاحة القرآن[1].

ونقول – والله أعلم- أن النعمة في الآية الأولى كانت بالإنجاء لنوح ومَن معه، وكانت وسيلة الإنجاء هي الحمل في الفلك، وأما النعمة في الآية الثانية: فهي في دوام الحمل في الفلك إلى يوم القيامة، ويدخل فيها كل ما يستجد من المخترعات الحديثة في مجال النقل.

الترجيح:

الظاهر أن القول الثالث هو الراجح والله أعلم، وذلك لقوة أدلته، ثم إن في ترجيحه جمع بين القول الأول والثاني، وذلك لأنه قول بالعموم، وعليه فيكون المراد بالذرية: ذرية جنسهم، فالذرية المحمولة مع نوح -عليه السلام- الآباء المخاطبين بالآية وهم كفار قريش، والأبناء باعتبار من حُمل على الفلك من ذرية نوح، والله أعلم.

* * *

(١) انظر: تيسير الكريم المنان (ص٦٩٦).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه ومن ولاه وبعد: فقد يسر الله إتمام هذا البحث فله الحمد والمنة، وأود أن أذكر أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها، وهي:

أولاً: أن الذرية في استعمال القرآن تطلق ويراد بها الأبناء في غالب مواطنها.

ثانيًا: أن من مرادفات الذرية: النسل والعقب والأبناء.

ثالثًا: أن النساء – أي الزوجات – يدخلن في الذرية باعتبار أنهن مزارعها، وقد ترد بمعنى الضعفاء باعتبار الوصف.

رابعًا: أن المراد بالذرية في سورة يس هو الجنس، فيدخل فيها الأبناء باعتبار من حُمل على الفلك ممن آمن من ذرية نوح، والآباء كذلك باعتبار المخاطبين وهم كفار قريش.

ومن التوصيات التي أود أن ألفت عناية الباحثين إليها: أن مشكل آيات التفسير من المواضيع التي تحتاج إلى بحث وتصنيف، فحبذا أن يقبل عليها الباحثون خدمة لكتاب الله.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبة أجمعين

* * *

مراجع البحث

١- القرآن الكريم.

٢- أسنى المطالب في شرح روض الطالب، لزكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، (ت: ٩٢٦هـ)، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: بدون طبعة وتاريخ.

٣- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ.

٤- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

٥- بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ)، دار الكتاب، بدون ذكر الطبعة والتاريخ.

٦- البحر المحيط في التفسير: لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان (ت: ٧٤٥هـ)، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ.

٧- البيان في عد آي القرآن: لعثمان بن سعيد الداني (ت: ٤٤٤هـ)، ت: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات الكويت، ط: الأولى، ١٤١٤هـ.

٨- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

٩- التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن محمد بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م.

١٠- التسهيل لعلوم التنزيل: لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي (ت:

٧٤١هـ)، ت: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم– بيروت، ط: الأولى – ١٤١٦ هـ.

١١- تفسير الإمام ابن عرفة، لمحمد بن محمد ابن عرفة التونسي المالكي، (ت: ٨٠٣هـ)، ت: د. حسن المناعي، الناشر: مركز البحوث بالكلية الزيتونية – تونس، الطبعة: الأولى، ١٩٨٦ م.

١٢- تفسير الجلالين، المؤلف: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى.

١٣- تفسير الراغب الأصفهاني،لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، مجموعة رسائل علمية. جزء ١: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، ت: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب – جامعة طنطا، ط الأولى: ١٤٢٠ هـ/جزء ٢، ٣: من أول سورة آل عمران – وحتى الآية ١١٣ من سورة النساء، ت: د. عادل الشِّدي، دار الوطن، الرياض، ط الأولى: ١٤٢٤ هـ، جزء ٤، ٥: (من الآية ١١٤ من سورة النساء – وحتى آخر سورة المائدة)، ت: د. هند بنت محمد بن زاهد، الناشر: كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى، ط الأولى: ١٤٢٢هـ.

١٤- تفسير الفاتحة والبقرة، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.

١٥- تفسير القرآن الحكيم، لمحمد رشيد بن علي رضا (ت: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

١٦- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، جمع: أسعد محمد الطيب، مكتبة

نـــزار مصطفى الباز - مكة، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩هـــ.

١٧- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت: ٧٧٤هـــ)، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـــ - ١٩٩٩ م.

١٨- تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـــ)، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٠ هـــ.

١٩- تفسير القرآن، لأبي المظفرمنصور بن محمد السمعاني (ت: ٤٨٩هـــ)، ت: ياسر ابن إبراهيم وآخرون، دار الوطن، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـــ-١٩٩٧م.

٢٠- تفسير المراغي، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـــ)، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥هـــ - ١٩٤٦م.

٢١- تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: لأبي محمد مكي بن أبي طالب الأندلسي (ت: ٤٣٧هـــ)، ت: مجموعة رسائل جامعية - جامعة الشارقة، بإشراف أ.د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـــ - ٢٠٠٨م.

٢٢- تفسير عبد الرزاق، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني (ت: ٢١١هـــ)، دار الكتب العلمية، ت: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـــ.

٢٣- تفسير مجاهد: لأبي الحجاج مجاهد بن جبر المخزومي (ت: ١٠٤هـــ)، ت:

د.محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٢٤- تفسير مقاتل بن سليمان: لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت: ١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣هـ.

٢٥- تفسير يحيى بن سلام، ليحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، (ت: ٢٠٠هـ)، تقديم وتحقيق: د. هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

٢٦- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: ينسب: لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - (ت: ٦٨هـ)، جمعه: مجد الدين الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان.

٢٧-تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٢٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

٢٩- جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٣٠- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، ت: أحمد البردوني، دار الكتب المصرية –

القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ.

٣١- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة – الكويت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ – ١٩٨٧.

٣٢- حاشيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد الحنفي (ت: ١٠٦٩هـ)، دار صادر – بيروت.

٣٣- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الفكر - بيروت.

٣٤- روح البيان، المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (ت: ١١٢٧هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت.

٣٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٣٦- روضة الطالبين وعمدة المفتين، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

٣٧- زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، ت: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ

٣٨- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: ٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، عام النشر: ١٢٨٥

٣٩- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ.

٤٠- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق محمد مصطفى البغا، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٤١- صحيح مسلم: لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤٢- عمدة القاري شرح صحيح البخاري: لأبي محمد محمود بن أحمد الحنفى بدر الدين العينى (ت: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤٣- فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٤ هـ.

٤٤- في ظلال القرآن، لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق - بيروت- القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ.

٤٥- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٠٧ هـ.

٤٦- اللباب في علوم الكتاب: لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى،

١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

٤٧- محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

٤٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ)، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٤٩- المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، تحقيق د: عبد الحميد هنداويدار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٥٠- مختار الصحاح، لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٥١- مدارك التنـزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: ٧١٠هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

٥٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل(ت: ٢٤١هـ)، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ.

٥٣- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت.

٥٤- المطلع على ألفاظ المقنع، المؤلف: محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، أبو

عبد الله، شمس الدين (ت: ٧٠٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، مكتبة السوادي للتوزيع، السعودية، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م.

٥٥- معالم التنـــزيل في تفسير القرآن، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ)،ت: حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ.

٥٦- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ط:١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٥٧- النكت والعيون: لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب الماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، ت: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت.

٥٨- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، ت: صفوان داوودي، دار القلم،- دمشق، ط: الأولى، ١٤١٥.

* * *